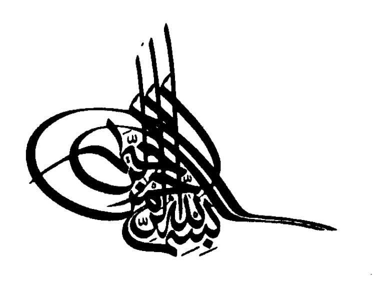
مرض نفسى اسمه
الشيوعية

بقلم
نبيل خـالد



مرض نفسى اسمه

الشيوعية

بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا ؟

هذه الدراسة

* **سؤال** ألحّ عليّ كثيرا . ومعه أسئلة أخرى .. **لماذا** تضع نفسك وسط عاصفة هجوم تحطم الأعصاب ، وتهلك النشاط ، وتدفع لليأس ، وتعطل الإبداع ؟؟ .. **لماذا** لا تكون صديقا للجميع بدلا من أن يعتبرك البعض عدوا . والآخرون ، لن يقفوا معك ؟ .

ورغم هذه الأسئلة .. وغيرها ، فلم أتردد لحظة واحدة ، فى نشر هذه الدراسة . لأننى أومن بأن الله قد ألهم كل أديب ، رسالة . وإن هو قصّر فى توصيلها للناس ، فسيحاسب على ذلك . **وأنظر** للكاتب على أن أهميته ، إنما تأتى ، بما يكتبه ، وليس بما يقال فيه .

* أما **لماذا** نشرت هذه الدراسة ، ولم أحتفظ بها

لنفسى ، رغم أنها أعدّت منذ مدة طويلة ،

* والإجابة التى لم تعد خافية على أحد ، هى أن حاملى هذا الداء اللعين - والذين تسربوا إلى داخل الثقافة العربية . ومنهم من يعلن هويته ، ومنهم المتخفّى - باتوا ينشرون أفكارهم وآراءهم الهدامة (**دينيا** ، **وإنسانيا**) .

* **وخطورة** ذلك أن هذه الآراء ، تطرح فى القاعدة العريضة ، التى ترفضهم ، وتشمئز منهم ، فيكون رد الفعل هو فرز **المتطرفين** . وهذا موضوع آخر ، لن أخوض فيه الآن . ولكن أردت فقط أن أشرح للقارئ الكريم أهمية التعرف على هؤلاء الذين قال الله تعالى عنهم :

بسم الله الرحمن الرحيم :

{ فى قلوبهم مرض ، فزادهم الله مرضا ، ولهم

عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ .

صدق الله العظيم

وأسأل اللهَ الهداية لهم والشفاء .. والله وليّ التوفيق

نبيل خالد

عضو مجلس إدارة جمعية رواد قصر ثقافة المنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

مرض نفسى ، اسمه « الشيوعية »

دارسة بقلم

نبيل خالد

(فى أوقات الشدة ، أو عندما توجد ضغوط فوق الفرد ، فإنه يجد صعوبة بالغة فى التكيف مع هذه المطالب الشخصية والثقافية . وكأنه جزء من مفهوم الإنسان .. وهو أن يكون لدية مشكلات . فالحياة الإنسانية لا يمكن تصورها بلا مشكلات . وإن وجدت مثل هذه الحياة ، فإنها تصبح مملة ، وروتينية وفاترة ، وليس فيها ما يستثير ذكاء الفرد ، ويتحدى قدراته ومواهبه .. فالمشكلات لا مفر من وجودها .. ولكن ، إذا استطاع الفرد

أن يحلها ، قبل أن نحتويه بين طياتها ، وتغمره بضغوطها . فإننا نصفه ـ فى هذه الحالة ـ بالسواء Normality **. وإذا عجز عن حل مشكلاته ، فإنه يقاس من نوع ، أو آخر من الاضطرابات النفسية ، أو العقلية المعروفة) ..**

هذه العبارة ، هى رؤية علم النفس للصحة النفسية ... وقد تسألنى ، عن علاقتها ، بعنوان المقال ، وقبل أن أجيب ، أريد أن أوضح أن هذا العنوان ، ليس تمهيدا للهجوم على أشخاص معينين ، أو اتجاه محدد ، لأننى أومن أن الهجوم والصراع ، لا يبنى أى منهما مستقبلا ، ولا يدفع أمة إلى الأمام ، بل ـ على النقيض من ذلك ـ فالحوار الهادئ ، يحقق المستحيل .

ولم أقصد بمقالى هذا ، سوى الإصلاح ، لأن الأب ، حين يرى ابنه مريضا ، لا يهاجمه ، لكنه يعالجه ..

فينفع الناس ، وينفع أسرته ، وينفع كذلك وطنه . وهذا ما أطالب به . وخاصة بعد أن تعاملت واقتربت من الشيوعيين .. فقد لاحظت أشياء تتفق مع ما قرأت فى كتب علم النفس... ولحرصى عليهم ، أردت أن أوضحها ، ليسارعوا بعلاج أنفسهم ـ وفى الوقت نفسه ـ أدرأ الخطر عن الآخرين ، الذين قد يقعون فى فخ هذا المرض النفسى الخطير ، ألا وهو المسمى « **بالشيوعية** » ..

ويلاحظ أنك ، حين تتعامل مع الشيوعى ، فإنك تحس بأنك تعامل إنسانا مفرطا فى الحساسية ، وحادَ المزاج ، وعاطفيا جدا .. ويقترب كثيرا من عالم الأطفال .. وأن الشيوعى ، إذا شاهدته " **وهو غاضب** " فإن الصورة ستختلف ، لأنك سترى انسانا لا يفكر ، ويأتى بحركات غريبة .

ولنقف عند هذه الملاحظة ، ونسأل علم النفس ، عن هذه الظاهرة ، وسنجده يجيب بأن ذلك هو « **فقدان**

للقدرة على التحكم فى الدوافع والانفعالات "
...فالشخص الذى كان هادئا ، وغير الفضولى ، أو غير المتطفل ، وغير العدوانى ، سوف يصبح ، فجأة ، مزعجا ، وصائحا ، ويميل إلى الإفراط فى الحركة والنشاط Over activity ويمتاز هذا النشاط الزائد بالعنف والحماس ، وقد يصبح عدوانيا Aggrassive ، وهذا ناتج عن الشعـور بالنقص الذى ينمـّى فى نفسـه شعـورا دفاعيا ، بتوكيد ذاته ، واثبات كيانه ... فإذا وقف فى موقف فيه جدال ومناقشة ، فإنه يرفض أن يسمع وجهة نظر الطرف الآخر .. بل يأخذ ثأره باللجوء إلى السخرية والتهكم والاستهزاء .. وإذا اضطرته الظروف ، فإنه يستخدم العنف فى الرد على من يناقشه .. وهذا الشعـور ، يظهـر أحيـانا ، فى أعراض جنـون العظمة (Grandeur) .

ورغم منظره الذى لا يدل على ذلك ، لكنه شعور

داخلى يتملكه ، وتارة أخرى ، يكون الشعور مختلفا ليصبح احساسا بالاضطهاد ، وأن الكل يحيك له المؤامرات . وهذه الأحاسيس تجعله يشعر بأفكار زائفة ، ويأتى بحركات مصطنعة شاذة . والشعور بالخجل ، وبالحساسية المفرطة فى محاولتهم التعامل مع الغير .. وقد أحسست بهذه الملاحظات ، أثناء وجودى فى مؤتمر أدباء مصر الرابع للأقاليم .. فقد أتيحت لى الفرصة للتعامل مع عدد كبير منهم ، حيث أن مناخ الحرية قد أتاح لهم الظهور للتعرف عليهم بسهولة . ولقد لمست خجلهم ، ومشاعرهم المرهفة ، وفجأة . تنقلب هذه المشاعر إلى مشاعر عدوانية ، أثناء مناقشة القضايا التى تناولها المؤتمر .

وعندما أقول « **مشاعر عدوانية** » ، فأنا أقصد أن الشيوعى المتكلم ، يقف ليتكلم بطريقة منفّرة ومقززة . وتشعر أن ملامح وجهه قد عكست شخصا آخر غير الذى كنت تتحدث معه من قبل . وكأنه « **تقمص** »

شخصية أخرى ، حتى أنه ذكّرنى بالفرد الذى نقول عنه أنه ، قد « **ركبه عفريت** » ، حيث تتبدل صورته ، ويتغير صوته ، ولا تملك إذ ذاك إلا العجب .

وقد وضحت هذه التصرفات ، التى يحكى عنها علم النفس ، فى نظريتهم التى تؤمن « **بدكتاتورية الطبقة الواحدة** » ..

وإذا عدنا إلى علم النفس ، ليفسر لنا هذه التصرفات ، تفسيرا علميا ، فسنجد أن ذلك ، سببه الاتجاه السيكلوجى الحيوى الاجتماعى ، وهو مرض يصيب « الأنا الوسطى » ووظيفتها ، الاتصال بالحقيقة أو بالواقع ، والتحكم فى الدوافع والبواعث ، وضبطها .

وإذا حاولنا أن نخوض فى الأسباب ، فسنجد أن العلاقات الاجتماعية ، لها دور كبير فى صحة الانسان

النفسية ... ولا شك أن العلاقات الشخصية ، ذات أثر كبير ، فى تحقيق تكيف الفرد .

فالتفاعل الاجتماعى المثمر ، يفيد فى بناء الصحة العقلية السليمة ، بل ويبنى فى الفرد الخصائص الانسانية السليمة ... والشخص السوى ، هو الذى يتمتع بعلاقات ، واتصالات اجتماعية ، على مستويات مختلفة ، منها(السطحى ، ومنهـا العميق) ..

وبما أننا تحدثنا عن العلاقات الاجتماعية ، فلا يمكن أن نغفل « **ماركس** » زعيم الشيوعيين ، والمنتمين إلى اسمه .. فقد كان شخصا يحيا حياة قاسية .

وإذا تعرفنا عليه ، باختصار ، فسنرى والده ، كان « **يهوديا** » ، ثم غير ديانته إلى **المسيحية** ، وكان يعظ الناس فى الكنائس ، ويتاجر باسم الدين ، ويحتال عليهم ..

ومن هذه « **العقده** » ، التى رآها ماركس ، فقد

أدى به ذلك إلى فقد ثقته بالأديان ، واعتبرها سبب الانحراف ، وليس « **والده** » .. وكان مثل الذى ينادى بالغاء « **البنوك** » ، حتى نقضى على النصابين المحتالين ... فقد ولّدت ـ اذن ـ تصرفات والد ماركس ، فى نفسه ، شعورا عميقا بالذنب ، كما ولّدت لديه شعورا بالعار ... وهذه التصرفات ، إن هى إلا تعبير منه عن صراع واحباط ، وشعور بعدم الأمان ، كما يقول علم النفس ..

ولقد حاول ماركس أن يسقط تصرفات أبيه ، على « **الأديان** » ، فيتهمها ـ زورا ـ بما كان يراه فى والده .. بل وانّا لنرى ـ فى الأدب الشيوعى ـ كذلك ، صورة رجل الدين ، تأتى على نفس صورة والد ماركس .. رجل يحتال على الناس ، ويتاجر « **باسم الدين** » ..

ونحن إذا رجعنا إلى علم النفس ، فسنجد أنه يقول ،

أن الإنسان المريض نفسيا ، هو الذى تعتريه فكرة ارتكاب جريمة ، كالرغبة فى قتل أبيه مثلا - بل ، وأعطانا مثلا ، لشاب انجليزى الجنسية ، من أصل يهودى ، تسلطت عليه فكرة أن الانجيل « **به خطأ ما** » ، وأن عليه هو تصحيح هذا الخطأ ، واظهار الحقيقة التاريخية أمام العالم ..

ولنرجع إلى ماركس ، الذى وجد نفسه فى موضع شاذ ، لا يحسد عليه ، وقد فجع فى أعز الناس إليه ، مما أدى إلى فقدانه الثقة بكل القيم ، والأدعاء بأنه ، لابد للإنسان أن يؤمن بما يراه فقط ، ولا يؤمن « **بالغيبيات** » ..

وطبعا ، وغنى عن التحليل ، أن علّة هذه النظرة المادية ، تصرف أبيه وأفعاله التى كانت ، فى الظاهر « **طاهرة** » لا تشوبها شائبة .. وبعيدا عن الأعين ... فاسقة ..

وقد فجع كذلك ، فى حيـاة الناس من حوله ، حيث « الاقطاع » المستغل .. وقد كان ذلك سببا فى انسحابه تدريجيـا ، من ممارسـة جميـع العـلاقات الانسانية ، والكفر بها وانكارها بالكلية ، ذلك أنه عجز عن التكيف اجتماعيا ، وانغمس فى تفكيره الذاتى ، وفى خيالاته .. حتى بلور « نظريته » ، وهو أنه يسحب المجتمع كله معه إلى عالمه الذى يعيش هو فيه .. ظنا منه أن كل الناس مرضى مثله .. وكان لا بد أن يحقق شيئين :

* أن يكفّر عن ذنب أبيه

* وأن يعذب نفسه ، والناس معه .

كما يسمى ذلك علم النفس « بالأفعال القهرية »

ففكر ماركس فى تطبيق « الشيوعية » و تلك التى هى ـ فى الأحلام ـ شيىء جميل ، ولكن ـ حين

يطبق - نجده الجحيم بعينه .. وذلك أنه يكبت فى الإنسان ، دوافعه وغرائزه الطبيعية ، فيشعر - المواطن - فى الدول الشيوعية - أنه « **حيوان** » ، إنما هو يأكل ويشرب ويعمل ، ولا طموح له ، ولا آمال ، ولا ملكية خاصة يسعد بها .. وما يدعو إلى « **التنافس** » بين الناس ، طلبا للتطور والازدهار ..

وقد استجاب لماركس ، كل المرضى الذى يعانون مثل حالته ، حيث أنهم وجدوا ضالتهم فى « **إنشاء مجتمع خاص بهم** » .

ومما يؤكد ذلك أننا إذا نظرنا إلى الشيوعية ، فى أدب الشيوعيين ، فإننا سنشعر أن وراء كتابات كل منهم « **مأساة** » ، يعيشها هو فى حياته الشخصية .. وأمام هذه التصرفات التى تزيد شذوذا ، عندما نلاحظ تلك الأشياء البسيطة ، إذا تعاملت معه لمدة طويلة ، من اضطراب وعدم الشعور بالأمان ، والتصرفات المفاجئة ،

من قول لا تتوقعه ، كأن يفتح معك حديثا يهمّه ، ثم ينصرف عنه فجأة ، أو يحدثك فى موضوع ، ويشرد منه إلى ما يتعلق بحدث قديم وقع له هو فى حياته ..

وكل هذه الأمور ، استوقفتنى لأفكر ، ما علاقة هذه التصرفات بالمرض النفسى ؟؟ وهل هم أصحاب « مبدأ » ، أو فكر .. أم أنهم يحملون مرضا نفسيا خطيرا يشتركون جميعا فيه ؟ .. وحدّهم للمطالبة بأفكار خيالية تبدو جميلة ، وعند تطبيقها ، يكتشف أنها قد ألغت آدمية الإنسان .. ؟؟

وذكرنى ذلك ، بأحد أسباب القلق ، وهو محاولة تحقيق « **المعجزات** » ، وأن يضع الانسان نفسه فى المواقف الصعبة المستحيلة التى لا يمكن تحقيقها ، ويعـرّض نفسـه بذلك ، للاخفـاق فيهـا ، والاحباط ، والشعور بعدها ، بالنقص .

كـذلك ، عـدم التفريق بـين الأهـداف المقبـولة اجتماعيا ، وغير المقبولة ..

ونحن إذا استكملنا بقية تصرفات الشيوعيين ، لنتعرف أكثر عليهم ، وجدنا أن خطورتهم تظهر ، بمجرد استيلائهم على « **الحكم** » ، فعندئذ تظهر أعراض مرضهم الخطير حين يبدأ القتال والصراع فيما بينهم ، والمثل عندنا ، فى « **الاتحاد السوفيتى** » ، **فقد قتل الشيوعيون ٢٠ مليونا روسيا ، بعد وصولهم للحكم** .. وكذلك فعل ـ على عهد عبد الكريم قاسم ـ فى العراق ، وما حدث فى عدن ، حينما قاتلوا بعضهم البعض فى الشوارع ، ومازالوا متربصين ببعض ..

وإذا حاولنا أن نتعرف على خدعه المجتمع الشيوعى أو « **المدينة الفاضلة** » ـ تلك التى نادى بها أفلاطون ـ بعد أكثر من سبعين سنة ، ومن وصولهم

للحكم ؟ .. أم أن الشعب الروسى قد ضجّ من الكبت ، فاضطر الزعيم الذى نقدره لشجاعته « **جور باتشوف** » ، لإعلان سياسة الانفتاح ، وإعادة البناء ، بعد إخفاق الشيوعيين فى تحقيق المدينة الفاضـلة التـى قامت علـى أسـاسهـا « **الشيوعية** » ؟ .. وإذا كان الاتحاد السوفيتى حقق تقدما صناعيا هائلا ، فلنسأل ، بأى شىء عاد هذا التقدم على المواطن الروسى الذى مازال يعيش ، ولا يشعر بسعادة ، حالما بأن يشرب زجاجة كوكا كولا يوما ما ..

وهوليس إلا حصانا يجبرونه أن يجر مركبة ضخمة ، يشعـر بحملها ينوء به كاهله ، ولا يحس بسعادة امتلاكها ..

وإذا نظـرنا إلـى تمـرّد « **المجـر** » ، وتمـرد « **تشيكوسلوفاكيا** » .. فهل يمكن لهذه الشعوب أن تتمرد على الشيوعيين ، بهذه الثورة العارمة ؟؟ ، لو

كان قد تحقق لهم حد أدنى من السعادة والحرية .. ؟؟

ونأتى للسؤال الهام .. وهو ما الفرق بين ألمانيا الشرقية ، وألمانيا الغربية .. ؟؟ والمواطن الألمانى ، يحاول أن يهرب من أيهما إلى الأخرى .. ولن أجيب ، لأن الإجابة معروفة ... ولنفتح القرآن الكريم ، لنسمع رأى الدين فيهم ..

قال تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم - { **وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض ، قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون** »

ورغم أنهم لا يؤمنون بالدين ، رغم ادّعاء العكس ، ليستطيعوا أن يتكيفوا مع المجتمع الذى يلفظهم ، والذى نتأكد منه ، إذا استفززت أحدهم بالكلام عن الدين - فإنه لن يخفى شعوره ، وسنطبق عليه قوله تعالى { **ومن الناس من يقول آمنا بالله ، وباليوم**

الآخر ، وماهم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون } ..

وإذا حاولنا أن نربط ، بين كلمتى (**مايشعرون**) ، فى الآيتين ، فسنجد الإجابة فى هذه الآية ، والتى تنطبق مع عنوان المقال .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : { **فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون** }

وإذا حاولت أن تعرف أسبابا أكثر ، لهذا المرض ، فعليك بقراءة المقدمة مرة أخرى .

ونصل إلى خلاصة هامة ، وهى أننا ، من واجبنا أن نبصّرهم ، ونحافظ عليهم بالمطالبة ، بتيسير العلاج

لحالتهم هذه .. وعليهم هم أنفسهم ألا يغضبوا من هذه الكلام فنحن لا نطلب منهم سوى المراقبة الدقيقة لأنفسـهم ، وتصرفاتهم .. فسيتأكدون من صدق ما نقول ، وعليهـم أن يتجهوا إلى عيادات الأمراض النفسـية ، للتأكـد من سـلامتهم ، وللتخلص من أمراضهم ، وطلبا منهم للشفاء من أوهامهم .. ليستطيعوا التكيف مع المجتمع ، وعدم السير ضد تيار الرغبات الطبيعية فى الإنسان ..

وأطلب من وسائل الإعلام ، بالتعاون مع الأطباء ، أن ينشروا بيانات مفصلة ، وطرقا للعلاج على أوسع نطاق .. مثلما تفعل فى التوعية الصحية ، التى تقودها وزارة الصحة عبر قنوات التلفيزيون ، والإذاعة والصحف المنبثّة فى البلاد العربية ..

قدم الدراسه

نبيل خالـــد

عضو مجلس إدارة جمعية رواد قصر ثقافة المنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

{ الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وماكنا لنهتدىّ لولا أن هدانا الله }

صدق الله العظيم

نبيل خالد

* من مواليد مصر ١٩٤٥ م .
* بكالوريوس علوم عسكرية ، فى ١٩٦٧/٥/٢٦ م .
* شارك فى حرب سنة ١٩٦٧ م . وحرب الاستنزاف ، واشترك فى تحرير القنطرة شرق سنة ١٩٧٣ م .
* **عضو** جمعية المحاربين القدماء .
* **عضو** مجلس إدارة جمعية قصر ثقافة المنصورة .
* **عضو** مؤتمر أدباء مصر ، فى الأقاليم ..(المؤتمر الرابع) .

* **لـه** ديوان شعر بالفصحى ، يتناول فيه القضايا القومية ، والاجتماعية .

* **شارك** بعدة دارسات نقدية ، ومقالات ، وقصائد شعرية ، نشرت فى الصحف المصرية والعربية .

* **أعـد** برنامجا للإذاعة المصـرية (إذاعة وسـط الدلتا) ، فى : الدراسات النقدية .

* **فـاز** بالمركز الأول فى مسابقات (محلية وعربية) ، فى مجالَى الشعر والقصة .

* **له** أعمال تحت الطبع ، منها : الرواية الاجتماعية ، والدراسة النقدية ، والقصص القصيرة .

* **له** تحت الاعداد : دراسة دينية اسلامية ، فى دعوات الرسل الكرام ، موسومة بعنوان (حوار مع موسى والمسيح ومحمد ، عليهم أزكى الصلوات وأتمّ التسليمات .

* **المراسلة** : مصر ـ المنصورة ـ قصر الثقافة
جمعية رواد القصر

رقم الإيداع بدار الكتب ٤.٥٦ / ٨٨

الترقيم الدولى ٣ ـ ٩١ ـ ١٤٢١ ـ ٩٧٧

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠
تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN